مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267
المجلد:03؛ العـــدد:01؛ (2014)
ص 339-351

مقاربة جديدة حول توجيه المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية

د.مراد زرارقة
جامعة قالمة

لم تأخذ مسألة توجيه المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية نصيبها من الأبحاث والدراسات، إذ بقيت تعدّ بمثابة الحلقة المفقودة في كيان الثقافة الجنائزية التي أوليت لها مكانة هامة ومقدّسة من طرف القدامى، وهذا ما تمّ التعرف عليه من خلال عثورنا على جزء من مغزاها في بعض من مخلّفاتها المادية.

وقد تضاربت الآراء حول توجيه المعالم الجنائزية إلى جهة ما أو إلى قبلات معينة، إلاّ أنّ الرأي الذي بقي سائدا والمتمثل في توجيه الغرف الجنائزية إلى الجهة الشرقية عموما. فالعديد من الأبحاث والدراسات دلّت على طغيان هذه القبلة ولو بهامش منفرج قد يصل من الجهات الشمالية الشرقية إلى غاية الجنوبية الشرقية. لكن هذه النظرية لا تتماشى مع الواقع المصادف في الميدان، بل تعاكسه تماما، حيث توجّه غرف المعالم الجنائزية البارزة فوق سطح الأرض إلى قبلات متعدّدة ومختلفة في الموقع الواحد. ويتعيّن بأنّ نفس الأمر انتهج في أوروبّا، حيث لاحظ G. Bailloud بخصوص الأروقة المغطّاة بفرنسا بأنّ معالمها موجّهة إلى عدّة قبلات وهذا بسبب نوعيّة وهيئة الأرضيّة ولا تخضع لأيّة نظم تقليدية[1].

وكانت بدون شكّ الكثير من السلوكيات الخرافية المستمدّة من المعتقدات القديمة ممارسة لدى أصحاب المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية متمثّلة في تبجيل الأشجار، والتعبّد في المزارات، وتقديس الجبال والصخور، ويتجلّى من هذه العادات الطقوسية بوضوح ديمومة بعض عناصر الديانات الوثنية القديمة، وهي معتقدات بقيت متأصلة لدى سكان الأرياف إلى غاية وقت ليس ببعيد رغم حلول عدّة ديانات سماوية متوافدة على بلاد المغرب دون أن تقضي نهائيا على عدد من شعائرها ومعتقداتها، رغم محاولات منع إقامتها منذ القدم، على غرار المرسوم الإمبراطوري لسنة 407 م الذي يقضي بحظر كل المعتقدات الوثنية بالإضافة لمختلف مراسيم المجامع التي بيّنت مدى تنديدها بهذه السلوكات كمجمع آرل Concil d'Arles سنة 452 م الذي تمّ فيه إعلان اللّعنة ضد كل من يشعل الشموع والمشاعل اعتقادا منه بقداسة الأشجار وعناصر المياه كالمنابع والنافورات إلى غير ذلك من الأمور كالصخور. ونفس الأمر

بالنسبة لمجمع تور Concil de Tours سنة 567 م أين أمر أحد رجال الدّين بعزل كل من يقوم بسلوكات مخالفة للكنيسة قرب الأشجار والنافورات والحجارة من المجتمع، وبقيت نفس الممنوعات تتجدّد في مختلف المجامع مثل نانت Nantes سنة 658 م وطليطلة Tolède سنتي 681 م و682 م.

وبقيت هذه المقاومة سائدة إلى غاية حكم شارل الكبير Charlemagne الذي أصدر مرسوما سنة 789 م ضد معتقدات الأشجار والصخور والنافورات[2].

تبيّن كل هذه القرارات الردعية مدى تقديس القدامى لعدد من المظاهر الطبيعية والتي نعتقد بأنها أخذت كقبلة لتوجيه معالمهم الجنائزية، وهذا ما وقفنا عليه في العديد من الحالات بمختلف مقابر الشرق الجزائري والقطر التونسي التي تتجلّى في توجيه محور الغرف الجنائزية نحو الجبال، وقمم المرتفعات بوجه الخصوص ومن غير المستبعد أنّها كانت تتربّع من فوقها أماكن العبادة كالمعابد والمزارات والأشجار المعزولة.

وتكتسي هذه الظاهرة بالتأكيد على دواعي معيّنة، نعتقد بأنّها في الكثير من الأمثلة ذات أبعاد طقوسية لها صلة بمعتقدات دينية تارة وبشروط تطبيقية يمليها العامل الطبوغرافي تارة أخرى. ويمكن تفسير توجيه المعالم إلى قبلات معيّنة بالأسباب التالية:

أ- التوجيه نحو مشرق الشمس:

هناك عددا من المعالم الجنائزية بمختلف أنواعها وأنماطها موجّهة بصورة واضحة نحو الجهة الشرقية بزاوية تنفرج وتتّسع من الجهة الشمالية الشرقية إلى غاية الجهة الجنوبية الشرقية، وهي الواجهة الموافقة لطلوع الشمس في مختلف فصول السنة، ويمكن التعرّف من خلالها على القبور المنجزة في فصل من فصول السنة، ويكون هذا محصورا على الشخص أو الأفراد المدفونين داخل القبر الواحد في الوقت نفسه، أمّا أولئك الذين دفنوا خلال إعادة أو مواصلة عملية الدفن داخل نفس القبر القائم من قبل، فيتعذّر علينا معرفة الشهر أو الفصل الذي ووري فيه التراب.

ويؤكّد هامي M.T. Hamy في موقع هنشير لحجر بالنفيضة على توازي الغرف الجنائزية فيما بينها بخصوص التوجيه في المجمّع الواحد من المقبرة (كون المقبرة على هيئة عدّة مجمّعات) واتضح باستعمال البوصلة تباين في اتجاه المعالم من مجمّع لآخر يبعد عنه، وتختلف التوجيهات حسب وضعيّات طلوع الشمس صيفا وشتاء، وعليه يمكن تقبّل فكرة أنّ كل فوج من المعالم الجنائزية قد بني الواحد منه خلال فصل من فصول السنة[3].

وقد اتضح لهامي بخصوص منطقة النفيضة Enfida حول ما تبقّى من مصاطب موقع دار بلواعر، أن كل مصطبة قد بنيت على قاعدة دائرية تتراوح ما بين 5 و12م، هذه الحلقة

مدرجة داخل حلقات مركزية أخرى مقطوعة عموما من الجهة الشرقية بواسطة نقطة بادئة Echancrure على شكل ثقب المفتاح تتموضع فوق السطح الأعلى للغرفة الجنائزية المغلقة من جهاتها الثلاث وتبقى مفتوحة من الجهة الشرقية[4].

لقد كان تبجيل الكواكب وخاصّة الشمس والقمر منها كانت ممارسة عند الشعوب القديمة، حيث تذكر مليكة حشيد أنّه منذ ظهور البربر القدامى بالصحراء ثم من بعدهم نسلهم المكوّنون من الليبيين والقرامونت Garamantes، كانوا يمارسون طقوس الكواكب، وتؤكّد الشهادات القديمة المتمثّلة في توجيه موتاهم ومبانيهم الدينية هذا الأمر. ففي وادي الأجيال كانت المدافن مصحوبة بمسلاّت. ويعلم بأنّ المصريين القدامى كانت لهم تقاليد نصب المسلاّت على مداخل المعابد والتي كان لها بعد مقدّس مرتبط بعبادة الشمس. وتتساءل عن شكل التلال الجنائزية المشابهة للهلال وعلاقتها بشكل القمر، وعن استعمال طلوع وغروب القمر لقياس الزمن. لتضيف بأنّ مسينيسا أحد أكبر الشخصيات البربرية كان يبجّل الشمس لطلب ما كان يأمله، فكان يوجّه صلواته للقمر والشمس بقدر مماثل للذي كان يقدّمه للمعبودات البونية، حيث تربّى في وسط ثقافتها وترسّخت ديانتها فيه لكنّه كان يمارس أيضا شعائر أجداده. كما نعلم أيضا ما للقمر من تأثير على المجتمعات المورية والنوميدية فقد كانت ترمى لدى بعض قبائلها القديمة أشياء يابسة لتطلب بدلها أشياءا خضراء[5]. وكأنّ القمر معبود من معبودات الخصوبة.

قد ندرج إلى حدّ ما الأنصاب الحجرية العمودية التي كانت تنتصب مع الحلقات الحجرية المحيطة بالمعالم الجنائزية، فمنها المنصوبة في الجهات الشرقية للمدافن وكأنّها في مقدّمة القبر تطل على اتّجاه طلوع الشمس، إلاّ أنّ عددا آخر منها متموضع في جهات شتّى من حلقات المعالم سواء مازالت منصوبة أو واقعة على الأرض، تطلّ على قبلات مختلفة، قد تكون موجّهة نحو عناصر طبيعية مقدّسة أو أماكن العبادات بمختلف أنواعها المبنيّة بمواد حجرية أو عضوية زائلة كالأشجار المقدّسة.

ب- التوجيه حسب الجنس:

التنقيبات العلمية وحدها التي يمكن أن تزوّدنا بمعلومات حول هذه النظرية بما توضّحه من التأكّد على جنس المتوفّى، علما بأنّ تقارير الحفريات المجراة سابقا لم توضّح هذه المسألة ونكتفي بالإشارة إليها من أجل أخذها بعين الاعتبار في الدراسات المستقبلية. ويمكن استخلاص النتائج التي توصّل إليها باريس F. Paris عن المعالم الجنائزية بالنيجر حينما يقول بأنّها مدافن معقّدة تتشكّل من تلال جنائزية تغطّي حفرة تضم جثّة رجال في غياب تام للنساء في وضعيات جدّ منطوية، نائمين على الجانب الأيمن تكون فيها الرؤوس موجّهة نحو الشرق.

وفي المدافن على شكل أهلّة المنتسبة لفوج المعالم ذات القرون Antenne، محورها الأكبر موجّه دوما من الشمال إلى الجنوب، وتكون ذراعيها في غالبية الأحيان مفتوحة نحو الشرق والبعض الآخر يكون أحيانا مفتوح نحو الغرب، وبواسطة الحفريّات المقامة سمحت بتأريخها ما بين 3300 و1900 ق.م، ويتعيّن بأنّ الأشكال المفتوحة نحو الغرب تنتمي لمدافن النساء[6].

٥- التوجيه نحو الجبال:

يرى كامبس بخصوص المعتقدات السحرية والدينية للأفارقة القدامى بأنّه يمكن التعرّف على مزيج من الظواهر الطبيعية المقدّسة غير المنسجمة لأرواح عديمة التسمية وكائنات تحصّلت على مصف المعبودات المشخّصة وهي سلوكات أساسية مصدرها الحكمة، والتعقّل، والخوف والعبادة، أدّت إلى ظهور معتقد منظّم نوعا ما.

وكان للأفارقة مثل أغلبية الشعوب البدائية وعي وإدراك بوجود قوّة في الطبيعة بإمكانها التظاهر في أيّ وقت كان، داخل الانكسارات الطبوغرافية أو على مظاهر غير معتادة، وهناك احتمال وصولها أو وقوعها على حيوان قد يتحوّل إلى معبود جديد.

ويضيف بأنّه يمكن للقداسة أن تتظاهر على الإنسان بدون أيّ وسيط بدرجات متفاوتة عن طريق الحلم أو الرؤية أو الوحي[7].

ومن أهم المظاهر الطبيعية المقدّسة المنتشرة في العالم القديم ومازالت متواصلة إلى يومنا هذا لدى بعض الفئات والشعوب، فتتمثّل حسب كامبس في الأشكال الطبوغرافية بالدرجة الأولى كالجبال والصخور أيضا حتى ولو كانت هذه الأخيرة بسيطة، ومن هاته الأماكن العالية، يذكر المعبد البوني أو ذو التقاليد البونية مثل معبد ساتورن بلقرنسيس (بوقرنين)Baalcarnensis الواقع فوق جبل بوقرنين المطل على خليج تونس. (الصور 1، 2)

الصورة 1: جبل بوقرنين. (تصوير الباحث)

الصورة 2: بعل ذو قرنين - المعبد البوني بالكنيسية[8]

يرى كامبس أنّ أصول هذا السلوك المنتهج في تقديس الأماكن المرتفعة له خاصيّة محلية بيّنتها العديد من المعالم، بعضها ضارب في القدم كالرسوم الجدارية ذات الدلالة الدينية

المجمّعة على بعض الجبال بالأطلس المغربي الكبير(ياقور بغات)، وهي رسوم يرجع تأريخ بعضها للعصر الحجري الحديث وتعود أغلبيّتها لعصر البرونز وبداية عصر الحديد[9].

بخصوص جبال الأطلس التي أعتقد بأنها ليست حكرا على المرتفعات الشاهقة الواقعة بالمغرب فحسب بل على كل السلسلة من نفس الاسم والتكوين الجيولوجي، والممتدة من المحيط الأطلسي إلى غاية الأراضي التونسية بشطره التلي والصحراوي، التي بقيت محافظة على تسميتها إلى غاية يومنا هذا.

وحافظ كل من سترابون (Strabon, Géograpica.I.XVII.ch.3.2) وبلين الكبير (Pline l'ancien،Histoire ancienne V.ch.I.13.) وصولين (Polyhistor,25،Solin) على التسمية المحلية وهي ديريس وأدّيريس Dyris et Addiris[10]. ومنها أذرار جمعه إيذورار بمعنى جبل، وكان الأطلس مقدسا لدى القدامى به معبود يرفع بيديه السموات، ربّما كان هذا كناية على علوه المناطح للسحاب، وبالتالي القريب من السماء. وليس من باب الصدفة أن تقع إحدي المقابر الميغاليثية وشبه الميغاليثية الكبيرة المعروفة بقسطل على سطح ومنحدرات جبل من نفس الدلالة، ويدعى بالدير Dyr بتبسة حيث يفوق علوه 1000م، ونفس الأمر بالنسبة لعدد هام من المدافن المنتشرة قرب مدينة الكاف التونسية على مرتفعات جبل الدّير المطلّة قديما على موقع سيكا فنيريا Sicca veneria.

إنّ الشواهد المادية الممجّدة والمقدّسة للجبال عديدة في الفترة الرومانية، ونذكر على سبيل المثال تلك النقيشة التي عثر عليها بالقرب من سور الغزلان، هذه المدينة التي يطل عليها جبلين يدعى الأوّل بجبل ديرا Dira المعبّر والذي يقدر علوه بـ 1800 م، عثر من فوق قمّته على بقايا

قد تكون لمعبد أو ضريح[11]. والثّاني يدعى بقرن السلام الذي يرتفع بـ 1371م، عثر به وسط عدّة بقايا قديمة على نقيشة مهداة إلى روح الجبل باستوريانسيس pastorianensis الحامي من الرياح الهوجاء، عثر بقربها على العديد من البازينات[12] وهي كما يلي:

GENIO MONT(is) PASTORIA(nensis)
VIM T(em) PESTATVM (a) PATRIA N(ostra)
(arc)ENTI

يذكر بلين الأكبر الأساطير التي حكاها كتّاب مشهورون عن جبال الأطلس «لا ترى به أي ساكن بالنهار، وكل شيئ به صامت، صمت الصحراء المهيب ويصاب الذين يدنون منه بخوف أو خشية دينية....أما بالّليل، فالأطلس يتألّق بألف وهج، ويعمّ بفرح الإيجيبان والساتير Egipans et Satyres، وتسمع أصوات الناي والشبتات والطبول والصنوج» يرى قزال بخصوص هذا الوصف أن نكاد نتعرف عليه بالظهور الصاخب للجن التي تسكن الجبل[13].

ومازال نفس المعتقد يروى في بعض مواقع الشرق الجزائري على الرغم من بعد المسافة عن هذا المكان وقد أسقطت هذه الظاهرة على تسمية إحدى ربوات جبل سي الطاهر قرب عين سمارة التي تحتوي بدورها على عدد من المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية باسم «طبطابة تاع الجهالة»، ونفس الأمر وجدناه على المنحدرات الجنوبية المطلّة على مواقع سيلا والتي تحتوي بدورها أيضا على عدد من المدافن تسمى بطبطابة. وقد عبّر لنا قاطنو هاتين المنطقتين والذين ورثوا تسمية المكانينعن نفس الحكاية وهي سماع ايقاعات الدف والقرع نابعة من هاتين الرقعتين المرتفعتين خلال الليل.

بناء على هذه المعطيات التي تجسّد أهمية المرتفعات في المعتقدات القديمة والتي عثرنا على مخلّفات مادية واضحة تبيّن قداستها، وتتمثّل في توجيه المعالم الجنائزية في العديد من الحالات صوب قممها ومرتفعاتها (أنظر الصور 3، 4، 5) التي قد تكون خالية من كل تهيئة أو شيّدت عليها معابد، أو أضرحة، أو مزارات، وحتى المذابح التي لاحظها فال A. Vel على إحدى القمم الجبلية والواقع على بعد 4 كلم شمال شرق سيلا (وهي منطقة عامرة بالمعالم الجنائزية) على صخرة منحوتة لها شكل كروي، سمكها 0.40م وقطرها 0.70م نحت على واجهتها لهيب ينطلق من مركز الصخرة، كان هذا مذبح مهدى بدون شك إلى بعض المعتقدات الزراعية والرعوية، وقد تكون لسيبال Cybele التي كانت تقدّس في الجبال وفي الأماكن البريّة المتوحشة والتي كانت في بادئ الأمور تجسّد بواسطة صخرة مخروطية أو هرمية[14]

الصورة 3: توجيه الغرفة الجنائزية نحو قمّة الجبل بفم الحليق. (تصوير الباحث)

الصورة 4: توجيه المعلم الجنائزي نخو قمّة جبل المنايع بسلسلة القريون. (تصوير الباحث)

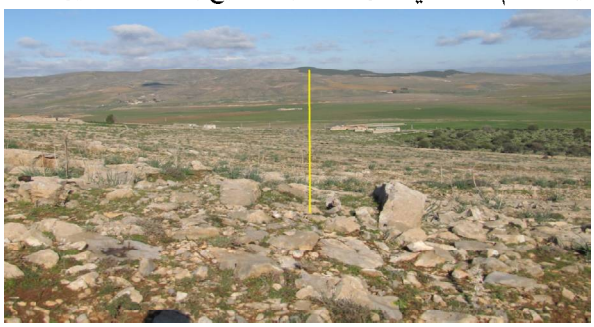

الصورة 5: توجيه الغرفة نحو مكان مرتفع –راس العين بومرزوق. (تصوير الباحث)

لم تقتصر التوجيهات نحو القمم على معالم حوض بومرزوق أو الشرق الجزائري فحسب، بل عثرنا عليها واضحة على المدافن الميغاليثية بإيلاّز Ellez بالقطر التونسي متمثّلة في عدد منها وجّه رواقها المركزي الذي تحيط به عدّة غرف موضوعة على جانبيه، إلى مختلف مرتفعات السلسلة الجبلية المسيطرة على المنطقة. (أنظر الصورتان 6، 7)

الصورة 6: توجيه ميغاليث إيلاّز قرب مكثر.(تصوير الباحث)

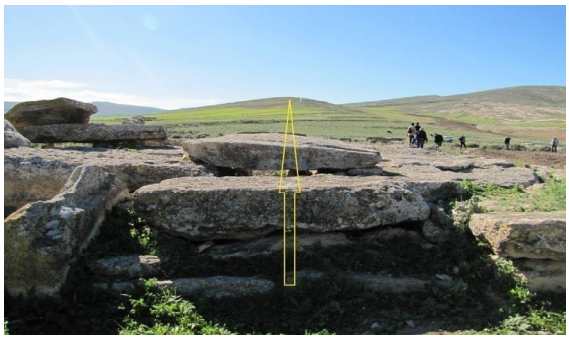

الصورة 7: توجيه ميغاليث ثاني إلى مرتفع آخر بإيلاّز.(تصوير الباحث)

- التوجيه نحو المنابع المائية:

ونفترض بالنسبة لبقيّة المعالم ذات الاتجاهات التي لم نجد لها تفسيرا واضحا مرتبط بالظواهر الطبيعية، بأنّها كانت موجّهة نحو الأشجار المقدّسة والمندثرة في الوقت الراهن، ومنابع المياه ذات التدفّق الوافر، والتي ما يزال عدد منها ينبع من نفس العيون منذ القدم على غرار عين بومرزوق براس العين بومرزوق التي كانت، ومازالت مصدر رزق بما توفّره من منح الحياة وسقي الأراضي عبر وادها من نفس الإسم، والتي تسبّبت بشكل مباشر في انتشار إحدى القبائل النوميدية في محيطها وشيّدت مدافنها بعين المكان.

أمّا الثانية والمسمّاة بعين الغيران، ربّما نسبة لسراديب سيلا فتتوسّط عدّة مجموعات من المدافن الميغاليثية وشبه الميغاليثية، وتقع ما بين المنحدرات الجنوبية لجبل تيساليا والمنحدرات الشمالية لربوة سيلا، التي تحتوي بدورها على منبعين إضافيين على منحدراتها الشمالية والغربية. ويقول تولوت J.A. Toulotte بخصوص هذه البلدة، بأنّها تقع بين وادين مموّلين

بواسطة منبعين وفيرين، وبناء على نقيشة عثر عليها هنا بيّنت أصل تسمية واد أمساقا[15]،المذكور في النصوص القديمة، والذي لعب دورا تاريخيا وسياسيا في غاية الأهميّة، إذ يقول ألبير فيفري Fevrier P.A. «نهران كانا يسجّلان حدود موريطانيا القيصرية، الملويّة Mulucha من الغرب وأمبساقا Ampsaga من الجهة الشرقيّة[16].

ويضيف شاربونو M. Cherbonneau بخصوص هذه النقيشة أنّه عثر عليها قرب أثار سيلا وبالضبط على بعد 200 قدم من هذه المدينة، بالعين المسماة بعين الثور[17]

. أمّا شباسيير وفروبينيوس فيلقّبونها بعين الغيران، وهو الإسم الذي مازال متداولا إلى غاية اليوم، وهي كالتالي:

G(eni)O NVMINIS
CAPVT AMSAGAE
SACRVM
C. ARRVNTI
PROCVLI FILIVS
MAGISTRATVS
PERMISSO ORDINIS
SVIS PECVNIS FECIT
ITEMQVE DEDICAVIT
LIBENS ANIMO[18]

وقد توضّح هذه النقيشة أيضا مكانة هذا الوادي من الناحية الدينية والطقوسية، والتي من الأكيد بأنّها كانت منتهجة لدى السكّان المحليين، وذلك بمحافظة الرومان للمعبودات الإفريقية التي تتجلّى في هذه الحالة في قداسة رأس واد أمساقا والذي قد يقصد به منبع هذا الأخير كما هو متداول إلى يومنا في المواصلة في استعمال نفس المصطلح المتعلّق بالأودية والعيون على غرار عبارات: راس العين (كما هو الأمر بالنسبة لمنبع بومرزوق)، وراس الواد وراس الماء، وكلّها تصبّ في معنى واحد، ويقصد به المكان الذي تنبع منه المياه.

وتدعيما لما جئنا به، فقد لفت انتباهنا بعين الغيران على نقش بارز على واجهة الجلمود الصخري مطلع على منبع مباشرة والذي قد يعود لمعبود مرتبط بالمنبع المائي، وهو عبارة عن تمثيل لشخص واقف ذي أعين لوزية الشكل، له لحية تنتهي بشكل مدبّب على غرار النقوش

البارزة المنجزة من طرف البربر، حفرت على يساره كوّة صغيرة التي نعتقد بأنّها مناسبة لوضع مصباح زيتي بداخلها قصد الإنارة أو التبرّك بهذا المعبود للمحافظة على وفرة المياه بهذا المنبع. (أنظر الصورة 8)

الصورة 8: نقش بارز لمعبود يطلّ على منبع عين الغيران بسيلا. (تصوير الباحث)

ض- التوجيه نحو الأشجار:

من جملة اتّصالات القدامى بالأرواح الخفيّة، والتي يرى قزال بأنّها كثيرة ولا يحصى عدده، لكنّها مجهولة وغير ماديّة وهي حبيسة داخل غلاف بالغ الدقّة حتى أنّ الأعين البشريّة لا تراها. وهي تسكن بداخل الأرض بدون تمييز، وبالسلاسل الجبلية على الخصوص، ولكنّها تفضّل مغادرتها خلال الليل عبر الممرّات التي تعترضها كل من المغارات ومنابع المياه والأشجار[19].

تقديس الأشجار كالزيتون والبطّوم والدردار والفلّين والصنوبر، كان ممارسا منذ القدم حيث يقول قزال أنّه في عهد القدّيس أغسطين، طلب من مجمع ديني إفريقي من الأباطرة أن يقضوا على عبادة الأوثان بكل مكان حتى بالغابات والأشجار. ولربما أنّ هذه الأشجار (أو أغلبيتها على الأقل) لم تكن مساكن لمعبودات معيّنة، ولكنّها كانت وسيلة مفضّلة إلى حيث تقيم الأرواح في باطن الأرض[20].

هذا ما يفسّر تكريس معبود الغابات بمنطقة سيقوس، وغيرها حيث عثر على نقيشة على بعد 8 كلم من سيقوس نحو سيلا، وهي تكريس لسيلفان معبود الغابات، كانت منحوتة داخل إطار مستطيل يقدّر بـ 0,47 م ارتفاعا و 0.57 م طولا على واجهة صخرة بأعالي جبل البرمة فوق

عين السرّارة بأولاد جحيش[21] وهي كما يلي:

SILVANO AVGVST(o)
SACRVM PROSALVT(e)
LVCIVS PRINCIPIAN(vs)
ET MARTALIS ET….
TERTVLLIVS (et) IVLIVS
(h)ERENNIUS PRIMO
SVS V. S.

Silvano Augusto sacrum.Pro salute..Lucius Principianus et Martialis et.. Tertullus et Julius Herennius Primosus votum solverunt

وهذا ما يدلّ بأنّ جبل البرمة وجبل الفرطاس يكادان أن يكونا عراة في الوقت الحالي، كانوا مكسوون بالأشجار.

علما أنّه في سنة 1820 جهّز براهام باي قسنطينة ضد السقنيّة حملة متكوّنة من القبائل المجاورة أين تمّ حرق الغابات الكثيفة لجبل القريون بعدما عجز عن ملاحقتهم، فلم يصل إليهم وللثأر منهم حرق أشجار الزيتون بأعداد معتبرة والتي كانت تغطّي جزءا من بلاد السقنيّة، واعتمد فال Vel على بعض الشواهد المادية المتمثّلة في بقاء جذوع الأشجار متفحّمة استغلّها الأهالي في الطهي[22].

إنّ فكرة تبجيل الأشجار من طرف بناة المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية بالمنطقة غير مستبعدة بحكم مواصلة تقديسها إلى غاية اليوم بجعلها بمثابة مزارات يهيّئ محيطها بتهييئات حجرية دائرية أو على شكل أهلّة مازال عدد منها قائما حول الأشجار بمقربة من المدافن (أنظر الصور 9، 10).

الصورة 9: مزارة محيطة بشجرة قرب تل جنائزي بجبل فرطاس أولاد عزيز. (تصوير الباحث)

الصورة 10: تهيئة مزارة أسفل شجرة الزيتون المعلّق في أغصانها أشرطة قماشية. (تصوير الباحث)

استخلصنا هذه الفرضية من منطلق توجيه عدد من القبور نحو نفس النقطة المتربّعة فوق ذراع يسيطر على مجموعة من المعالم، والتي قد كان من فوقها شجرة مقدّسة. (أنظر الصور 11، 12)

الصورة 11: توجيه الغرفة نحو النقطة س. (تصوير الباحث)

الصورة 12: توجيه مصطبة ثانية إلى نفس النقطة س. (تصوير الباحث)

مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

هوامش البحث:

1 Bailloud G., Le néolithique dans le bassin Parisien. 2eme supplément à Gallia préhistoire, Paris. CNRS, 1964, P. 157.

2 Dechelette J., Manuel d'archéologie préhistorique, Celtique et Gallo-Romaine T. 1. Paris, 1908 P.379.

3 Hamy M.T.,Cistes et nécropoles Berbères de l'Enfida, Tunisie moyenne. Etude ethnographique et archéologique. B.G.H.D., 1904, N° 1, P.38.

4 Hamy M.T., Ibid, P.37.

5 Hachid M., Les premiers Berbères. P. 292.

6 Paris F., La préhistoire de l'Afrique de l'ouest, nouvelles données sur la période récente. P.96-97.

7 Camps G., Les Berbères, mémoire et identité. Paris., 1995, 3eme édition, P.144.

8 Fantar M-H., Tunisie terre de rencontres et de civilisation. Catalogue de l'exposition archéologique, Seville, Mai-octobre 1992, I.N.A.A., Tunis, 1992, p. 135.

9 Camps G., 1995, Op. Cit. P.145.

10 Basset R., Recherches sur la religion des Berbères. Revue de l'histoire des religions, Paris, 1910.P.3

11 Gsell S., A.A..A., Flle de Medéa, N° 104. P.11.

12 Gsell S., A.A..A., Op. Cit. N° 104.P.7.

13 Gsell S., HAAN, T.6, P.126.

14 Vel A., Monuments et inscriptions libyques relevés dans les ruines de Tir-Kabbine, situé sur le territoire de la commune mixte d'Aïn-M'lila, RSAC, 39, 1905, P.221.

15 Toulotte J.A., Géographie de l'Afrique chrétienne-Numidie-. Paris, 1894. P.268.

16 Fevrier P.A., Caput Ampsaga. E.B. Fasc.IV, 1987, P.606-608.

17 Cherbonneau M., Excursion dans les ruines de Mila, Sufevar, Sila et Sigus pendant l'été de 1863. RSAC., 1868, P.422.

18 Willmans, C.I.L., VIII, 1881. N° 5884, P. 564

19 Gsell S., HAAN t..VI. p.129.

20 Gsell S., Ibid, P. 120.

21 Poule A., Inscriptions de la Maurétanie Setifienne et de la Numidie. RSAC., T.18, 1876-1877.P.545.

22 Vel A., Inscriptions libyques inédites relevées sur le territoire de la commune mixte d'Aïn M'lila, RSAC, 38, 1904, P.31.